



القطبية في النظام الدولي
"جدل مفاهيمي"

بحث تخرّج أعد لنيل دبلوم في الشؤون الدولية والدبلوماسية

2017-2016

إعداد الطالب:

رشا الكسار

مقدمة :

في العلاقات الدولية صراعات تجاذبات و تباينات بين الدول للسعي إلى تحسين موقع كل منها في نظام دولي يقوده الأقوياء، وقد تعددت الدول التي جلست على رأس الهرم في هذا النظام الدولي واختلفت السياسات والظروف الدولية، لكن الصراع والحفاظ على قيادة هذا النظام بقي متشابهاً: توسع النفوذ و السيطرة و الهيمنة المطلقة وعدم السماح لأي دولة أخرى صاعدة من الوصول أو المشاركة في قيادة هذا النظام أو حتى المنافسة لتكون قطبا آخر قد يؤثر أو يضر بمصالح قائد النظام الدولي الذي يتحكم بكل المجريات والأحداث و التطورات الدولية . جرت العادة أن تتناول أدبيات العلاقات الدولية مسألة القطبية في النظام الدولي بالتركيز على توزيع القوة بين القوى العظمى فالنظام قد يكون أحادي القطب أو ثنائياً أو متعدد الأقطاب. هذه البنية تؤثر على سلوك الوحدات الفاعلة في العلاقات الدولية حسب موقعها في النظام الدولي، ويشير أساتذة العلاقات الدولية إلى أنه في الشكل الأول تهيمن دولة واحدة في حين في الشكل الثاني تهيمن دولتان أو تحالفان، بينما في الشكل الثالث تهيمن مجموعة من الدول على قيادة النظام الدولي. إلا أن تاريخ العلاقات الدولية يشير إلى أن هذه الأشكال تشترك بسمّة أساسية وهي أنه دائماً وفي كل بنية من الأشكال السابقة هناك دولة أكثر فعالية ولها أكبر أثر في إدارة العلاقات الدولية.

إشكالية البحث:

تكمّن إشكالية البحث في طبيعة الجدل والنظر حول تعريف القطبية وأثر هذه القطبية في العلاقات الدولية، بمعنى أن مفهوم توزيع القوة والتسمية بين أحادي وثنائي ومتعدد لا تعكس حقيقة أثر ودور القوى العظمى في النظام الدولي. لذلك يحاول هذا البحث الإجابة على السؤال التالي:

سؤال البحث:

هل تعكس المفاهيم المتداولة في العلاقات الدولية مثل بنية النظام الدولي (أحادي وثنائي ومتعدد)، حقيقة ترتيب الدول ودورها في العلاقات الدولية؟

ينطلق البحث من الفرضية التالية:

فرضية البحث:

إن المفاهيم المستخدمة حول بنية النظام الدولي (أحادي، ثنائي، متعدد)، لا تعكس بالضرورة توزيع القوة بين الدول العظمى ولا دور هذه القوى في النظام الدولي. إذ توجد دائماً دولة محورية قادرة على ضبط سلوك القوى الأخرى حتى في ظل نظام دولي ثنائي أو متعدد.

منهج البحث:

يعتمد البحث المنهج الاستقرائي في تحليل الواقع ورده إلى النظريات العلمية ويستخدم أيضاً المنهج التاريخي في رصد الظواهر السابقة موضع التحليل.

حدود البحث:

في هذا البحث نتناول بالدراسة و المتابعة حقبتين تاريخيتين مختلفتين :

١ .. التعددية القطبية : أو ما سميت حقبة التوازن الكلاسيكي في القرن التاسع عشر ١٨١٥ - ١٩١٤ .

٢ .. الثنائية القطبية : مرحلة الحرب الباردة من ١٩٤٥ - ١٩٩١

الفصل الأول

بريطانيا بيضة القبان في مرحلة التعددية القطبية ١٨١٥ - ١٩١٤

المبحث الأول : الثورة الصناعية - بريطانيا قوة اقتصادية لا منافس لها

لكل عصر دولة ورجال.. مقولة لم تأت من فراغ ففي كل عصر من العصور في تاريخ العلاقات الدولية كانت هناك الكثير من القوى الفاعلة المتناحرة في مابينها لكن دائماً كان هناك دولة واحدة فقط الأكثر تأثيراً في صناعة القرار الدولي.

مع بداية عصر التنوير في أوروبا ورسم ملامح جديدة للعلاقات الدولية حسب القوة الفاعلة في تلك الفترة التي تتراوح ما بين ١٧٠٠م إلى ١٩٠٠م كانت تلك العلاقات تشهد حالة من الفوضى وعدم الاستقرار السياسي بين الدول في ظل عدم وضوح بنية النظام الدولي في ذلك الوقت، وعدم الوضوح هذا أنتج حروباً أهلية وصراعات داخلية بالإضافة إلى معارك طاحنة بين الدول التي تسعى لأن تكون على رأس الهرم في النظام الدولي الجديد.

من بين عدد من الدول الكبرى المتنافسة على قيادة النظام الدولي في ذلك الوقت و في ظل وجود تقارب بالقوى من الناحية العسكرية و الاقتصادية (فرنسا - روسيا - النمسا - ألمانيا - بريطانيا) برزت بريطانيا كدولة استعمارية تسعى لبسط سيطرتها وهيمنتها على معظم دول العالم، لكن رغم التنافس بين تلك الدول الاستعمارية اجتمعت عدة عناصر أساسية جعلت بريطانيا الأوفر حظاً بين تلك الدول من خلال امتلاكها الكثير من الأوراق السياسية و الاقتصادية و العسكرية الراححة كالتفوق الصناعي و التماسك السياسي و قوة أسطولها البحري و سيطرتها و استعمارها لمناطق هامة في العالم.

وباختصار شديد، فإن السنوات العشر الأخيرة التي أنهت القرن الثامن عشر والسنوات العشر الأولى التي دشنت القرن التاسع عشر كانت أقرب كثيراً إلى تشكيل تحالفات قطبية فضفاضة منها إلى كتلات محكمة، وتعتبر تلك الفترة استمراراً لحقبة التوازن الكلاسيكي

التي امتدت ما يقارب المائة سنة قبل الثورة الفرنسية التي بدأت في العام ١٧٨٩م وانتهت في العام ١٧٩٩م ، حتى تسيدت بريطانيا العظمى " بحرياً " في الفترة من ١٨١٥م - ١٨٧٠م ، - أي - ما يزيد عن الخمسة عقود تقريباً ، وذلك من خلال الكثير من الأوراق السياسية والاقتصادية الراححة، كالتفوق الصناعي والتماسك السياسي وقوة الأسطول البحري وهي على سبيل المثال لا الحصر.(١) في أوائل القرن التاسع عشر بدأت الثورة الصناعية في بريطانيا بسبب توفر عوامل داخلية وخارجية عدة، ومن العوامل الداخلية:

١ .. المخزون الكبير من الفحم الحجري و الحديد وهما المصدران الطبيعيان للاعتماد في التصنيع بينما المواد الصناعية الأخرى كانت تقوم باستجلابها من مستعمراتها المتناثرة في مناطق عدة من العالم، بدأت الثورة الصناعية في بريطانيا لأسباب متعددة، منها المخزون الكبير من الفحم الحجري و الحديد وهما المصدران الطبيعيان اللذان اعتمد عليهما التصنيع بينما كانت المواد الخام الصناعية الأخرى تأتي من المستعمرات البريطانية مما جعلها قوة استعمارية رائدة في العالم ولم تعد مستعمرات بريطانيا مصدراً للمواد الخام فحسب بل صارت تمثل أسواقاً للمنتجات المصنعة.(٢)

اشتهرت الصناعة البريطانية وانتشرت في الكثير من مناطق العالم ما دفع بريطانيا للتفكير بطرق لزيادة الإنتاج و تطوير المصانع و الآلات والمهارات الفنية مستفيدة من مواردها الأساسية كالفحم الحجري و الذي كان المفجر للثورة الصناعية في بريطانيا و الذي يعد الوقود الأحفوري و المصدر الرئيسي للطاقة في جميع البلدان الصناعية في ذلك الوقت بالإضافة إلى الحديد كعامل مهم في التطوير الصناعي و الذي اعتمدت عليه الدول المصنعة في تطوير صناعاتها ما جعلها بحاجة ماسة لبريطانيا لامتلاكها تلك المواد الأساسية وصيرها أكثر تفوقاً على تلك الدول .

(١). أ. محمد سعيد الفطيسي ، التاريخ الموجز للأنظمة القطبية (١٨٠٠ - ٢٠٢٠) موقع الركن الأخضر .

<http://www.grenc.com/bb/show.cfm?id=29477>

(٢). encyc.kacemb.com . [Kacem BOUKRAA](http://www.kacemb.com) . الثورة الصناعية

ما كان للثورة الصناعية أن تتطور دون الفحم الحجري والحديد. فالفحم الحجري يوفّر القدرة لدفع المحركات البخارية، فضلاً عن أهميته لصناعة الحديد. وكان الحديد يستخدم لتحسين الآلات والأدوات ولبناء الجسور والسفن. وساعدت المخزونات الكبيرة من الفحم الحجري والحديد الخام بريطانيا في جعلها الدولة الصناعية الأولى في العالم.^١

فمع النهوض الصناعي والتطور السريع في العديد من الدول الكبرى في العالم أصبحت هناك حاجة ملحة لقدرة أكبر بكثير مما توفره الخيول أو الدواليب المائية البدائية وقد وجد البريطانيون ضالتهم مع اختراع الآلة البخارية التي زادت من أهمية الصناعة البريطانية من حيث الجودة و الإنتاج، هذا التطور السريع كان لابد أن يترافق مع القدرة على النقل و الحركة بسرعة تتناسب مع هذا التطور و بدأ استغلال المجاري المائية في بريطانيا والعديد من الأنهار و المرافئ لنقل البضائع .

اعتمد نمو الثورة الصناعية على قدرة الصناعة على نقل المواد الخام والبضائع المصنّعة عبر المسافات الطويلة. وهكذا فإن قصة الثورة الصناعية هي أيضاً قصة الثورة في النقل. كان لبريطانيا العديد من الأنهار والمرافئ التي كان من الممكن تهيئتها لنقل البضائع. وحتى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، كانت المجاري المائية توفر الوسيلة الزهيدة والفعالة الوحيدة لنقل الفحم الحجري والحديد والحمولات الثقيلة الأخرى قام المهندسون البريطانيون بتوسعة العديد من الأنهار وتعميقها، لتصبح صالحة للملاحة. كما قاموا ببناء القنوات لربط المدن، وربط حقول الفحم الحجري بالأنهار. كذلك أنشؤوا العديد من الجسور والمنارات وعمقوا المرافئ.^٢

كل ذلك ساهم في تعزيز التفوق البريطاني على الدول الكبرى في ذلك الوقت وأصبحت بريطانيا ورشة العالم مما أدى إلى ازدهار اقتصادي، هذا الازدهار دفع بريطانيا للتفكير بتوسيع مناطق نفوذها لتشمل الهند وأجزاء كبيرة من أفريقيا والعديد من المناطق الأخرى

^{٣١}- المرجع السابق، Kacem BOUKRAA

^{٤٢}- المرجع السابق، Kacem BOUKRAA

في جميع أنحاء العالم ما ساهم في زيادة الهيمنة البريطانية على أجزاء كبيرة من التجارة العالمية وهذا يعني أنها سيطرت بشكل مباشر وفعال على اقتصادات عديدة في العالم.

وفي أوائل القرن ال ١٩، بدأت الثورة الصناعية لتحويل بريطانيا ، وأثناء المعرض الكبير في عام ١٨٥١ وصفت البلاد باسم "ورشة العالم" ، وتم توسيع الإمبراطورية البريطانية لتشمل الهند ، وأجزاء كبيرة من أفريقيا والعديد من المناطق الأخرى في جميع أنحاء العالم ، إلى جانب السيطرة الرسمية المبذولة على مستعمراتها الخاصة والهيمنة البريطانية على جزء كبير من التجارة العالمية ، ويعني ذلك أنها سيطرت بشكل فعال على اقتصادات العديد من المناطق ، مثل آسيا وأمريكا اللاتينية ، ومحليا فضلت المواقف السياسية والسياسات التجارية ودعتها تعمل حرة مع التوسع التدريجي ، وخلال القرن العشرين ، زاد عدد سكانها بمعدل دراماتيكي ، يرافقها التوسع الحضري السريع ، مما تسبب في ضغوط اجتماعية واقتصادية كبيرة ، للحصول على الأسواق ومصادر المواد الخام الجديدة ، وأطلق حزب المحافظين تحت حكم دزرائيلي فترة من التوسع الإمبريالي في مصر ، وجنوب أفريقيا ، وغيرها. (٥) ٣

هذه العوامل الداخلية ترافقت مع عوامل خارجية جعلت من بريطانيا مهد الثورة الصناعية في العالم. أولها هو انتصار بريطانيا في حروب عظمى على القارة الأوروبية و استطاعت الحفاظ على أراضيها من خراب هذه الحروب بالإضافة لسيطرتها على معظم البحار واتساع رقعة مستعمراتها مما وفر لها المواد الخام التي تحتاجها للسلع المصنعة و أيضا الاستهلاك المتزايد من قبل سكانها وأساطيلها وجيوشها المنتشرة في غير مكان في العالم و التي شكلت لها سوقاً متسعةً للمنتجات الصناعية. التجارة أيضا كان لها دور في بدء الثورة الصناعية حيث إن المكاسب التجارية لبريطانيا كدست رأس المال ما دفعها للبحث عن استثمارات جديدة يضاف إلى ذلك أن بريطانيا كان لها حكومة دستورية مهتمة بالمصالح

٣ (٥). اسماء سعد الدين، تاريخ الأمبراطورية البريطانية موقع المرسل ٢٠١٦/١/٤

التجارية، هذه العوامل مجتمعة جعلت من بريطانيا قوة استعمارية شرهة لاستقطاب اليد العاملة خاصة و أن المجتمع البريطاني قد انقسم إلى قسمين :

١ .. اللوردات و التجار وهي الطبقة البرجوازية.

٢ .. طبقة العمال والتي كانت تعاني بريطانيا نقصاً فيها ما دفعها لتوسيع مناطق النفوذ واستعمار شعوب دول أخرى لاستغلال الموارد الطبيعية فيها و اليد العاملة وتسخيرها لخدمة الإمبراطورية البريطانية بالإضافة للمواقع الجغرافية الهامة التي كان لأسطولها الملكي الدور في السيطرة على معظم بحار العالم مما مكنها من وصل شرق العالم القديم بغربه من خلال السيطرة على رأس الرجاء الصالح و الكثير من الموانئ البحرية و الممرات المائية في شرق آسيا و أوروبا . فأصبحت بذلك القوة الاستعمارية الأكبر في العالم.

المبحث الثاني: بريطانيا القوة الاستعمارية الأكبر في العالم :

مع تطورات الثورة الصناعية ابتدأ عهد جديد من التوسع الأوروبي والبريطاني على الأخص جعل من بريطانيا قوة استعمارية كبرى تغطي معظم أنحاء العالم من كندا إلى البحر الكاريبي في نصف الكرة الغربي إلى رأس الرجاء الصالح و جنوبي إفريقيا ووسطها و شرقها إلى الهند وأستراليا.

شكلت أوروبا بكل ما تعنيه الكلمة من معنى حركة التاريخ السياسي والعسكري العالمي بالقرن التاسع عشر، فكانت اللاعب السياسي الرئيسي الذي شكل وجه الخارطة الجيوسياسية والجيواستراتيجية لرقعة الشطرنج الدولية في تلك الفترة الزمنية، وتحديداً كلاً من بريطانيا العظمى وفرنسا وروسيا والنمسا وبروسيا، ومن خلالها تشكل النظام العالمي في تلك الفترة الزمنية، والذي انتهى بانتصار بريطانيا العظمى على فرنسا في معركة

واترلو وتوقيع معاهدة باريس ، والذي جعل من بريطانيا القرن التاسع عشر القطب الأوحده الذي تسيد رقعة الشطرنج الدولية في ذلك الوقت.(٦)

اتساع رقعة السيطرة البريطانية جعل منها القوة الاستعمارية المتفوقة على باقي الدول الاستعمارية الأخرى بالإضافة إلى انتزاع مناطق هامة وحيوية في العالم من أيدي دول استعمارية أخرى كانت تعتبر نفسها قطباً منافساً لبريطانيا من بين هذه الدول فرنسا حيث هزمت فرنسا أمام بريطانيا في أكثر من منطقة في العالم.

عهد جديد من التوسع الأوربي - والبريطاني على الأخص - أدى إلى قيام امبراطورية بريطانية ثانية، زادهام امتداداً غياب مزاحم قوي بعد هزيمة فرنسا في كندا، وفقدانها كل مستعمراتها تقريباً نتيجة معاهدة باريس وبذلك استطاعت بريطانيا أن تتفرغ لغزو الهند وتجنده لهذا الغزو جل قواتها، في حين مكنتها قوة بحريتها من فرض سيطرتها على مناطق أخرى في آسيا وإفريقية، والتصدي لاحتكار إسبانيا تجارة أمريكا الجنوبية، ومد نفوذها ومصالحها إلى جنوبي المحيط الهادئ والشرق الأقصى، وشواطئ القارة الإفريقية. (٧)

هذا التوسع البريطاني جعل منها أكبر إمبراطورية في التاريخ و المتحكم في معظم المناطق الحيوية في العالم و المهيمن الأقوى على طبيعة العلاقات الدولية في ذلك الوقت و المتحكم في مجريات الأحداث في معظم مناطق العالم حتى سميت الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس،

(٦). أ. محمد بن سعيد الفطيسي ، التاريخ الموجز للأنظمة القطبية (١٨٠٠- ٢٠٢٠ م) . الرأي اليوم ٢٢/٨/٢٠١٦

(٧) . الأستعمار الموسوعة العربية ، <https://www.arab-ency.com/ar>

حيث كانت عندما تغيب الشمس عن إحدى مستعمراتها تشرق في مستعمرة أخرى وهذا يؤكد ربط بريطانيا أطراف الأرض ببعضها و حيث شملت مستعمراتها العديد من مناطق قارات آسيا وإفريقيا وأوروبا وأميركا وغيرها، كشركة الهند الشرقية البريطانية و التي اعتبرت من المراحل الأكثر نجاحاً في تاريخ الاستعمار البريطاني لضمها الكثير من أجزاء شبه القارة الهندية و أصبحت من أكبر مصادر الدخل للإمبراطورية البريطانية ، في القرن الثامن عشر للميلاد قررت بريطانيا أن تتوسع في استعمارها، فأنجحت أنظارها نحو قارة آسيا، وتحديدًا الهند فعملت على إنشاء هيئة فيها عُرفت باسم شركة الهند الشرقية، والتي كان هدفها الرئيسي السيطرة على كافة مناطق الهند بالتدريج، من خلال تشغيل العمال الهنود فيها، واحتكار الموارد الطبيعية الموجودة في الهند لها، وتشجيع الأقليات، والجماعات الهندية على النزاع مع الجماعات الأخرى بالاعتماد على الطائفة الدينية. (٨) لعبت شركة الهند الشرقية الدور الأبرز في التوسع البريطاني في معظم المناطق في آسيا، كانت شركة الهند الشرقية واحدة من أكبر الكيانات التجارية وأكثرها تأثيرًا على الإطلاق. منذ سبعينات القرن الثامن عشر وما تلاها، تطور وضع الشركة في الهند من السيطرة الاقتصادية إلى لعب دور سياسي ساعد في تعزيزه جيشها وأسطولها الخاصان بها، بعد أن أصبحت ممتلكات الشركة في الهند مريحة للغاية، اكتسبت المنطقة المحيطة إلى جانب المسارات التجارية من وإلى الهند أهمية جديدة بالنسبة للشركة. وبهذا ازدادت مشاركتها في منطقة الخليج مباشرة. (٩) في الخليج ومنطقة الشرق الأوسط بشكل عام اختارت بريطانيا المناطق الهامة و الحيوية وخاصة المطلّة و المسيطرة بشكل مباشر على الممرات و المضائق المائية و الغنية بالثروات الباطنية.

(٨). أ.مجد خضر ، الدول التي استعمرتها بريطانيا. موقع موضوع . ٢٠١٦/٦/١٢ .

(٩). لوي أولداي، متخصص في تاريخ الخليج و اللغة العربية، البريطانيون في الخليج: نظرة عامة/ <http://www.qdl.qa>

ورغم التناحر الكبير بين الدول الاستعمارية على المناطق الحيوية في الخليج إلا أن بريطانيا استطاعت من خلال إبرام عدد من المعاهدات مع شيوخ وزعماء المنطقة البارزين مكنتها من وقف أعمال المقاومة العربية للوجود البريطاني في المنطقة و تنظيم الملاحة في الخليج و تأمينها ومعاينة المخالفين لذلك و هذا يبدد أحلام الدول الاستعمارية الأخرى التي كانت تنظر إلى منطقة الخليج كمنطقة حيوية في العالم.

كما سيطرت بريطانيا في منطقة الشرق الأوسط على المناطق ذات الأهمية الجغرافية والدينية والحضارية كالعراق لأهميتها الجغرافية و التي تعتبر الطريق التجاري مع الهند و فلسطين لأهميتها الدينية والتاريخية في المنطقة ومصر التي تمتلك قناة السويس الاستراتيجية و التي تربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر، و التي وصفها الباحث الدكتور جمال حمدان بأن هذه القناة جعلت من موقع مصر الأخطر ليس في العالم العربي وحده وإنما في العالم القديم برمته، حيث ارتبطت القناة في تاريخ مصر بعديد من النزاعات والصراعات، كان أول النزاعات حول المزايا الفادحة التي حازتها شركة قناة السويس في عقد الامتياز، ومنها إئصال كاهل خزانة مصر المثخنة بالديون بتحمل نسبة ٤٤% من رأسمال الشركة، مما جعل الخديوي إسماعيل يقول عن تلك المزايا عندما طالع نص الامتياز الذي وقعه سلفه محمد سعيد في ١١/٣٠/١٨٥٤م: "إنني أريد أن تكون القناة لمصر، لا أن تكون مصر للقناة، لقد أسفر ذلك النزاع وما تبعه من تصرفات خرقاء في حفر القناة والاحتفال بافتتاحها عن تكبيل مصر بديون هائلة، مما نتج عنه بيع أسهم مصر في القناة للحكومة الإنجليزية المتحفزة، لتفتح بذلك شهية إنجلترا لاحتلال مصر، وهو ما عبر عنه رجل الدولة الإنجليزي الشهير: هاري جونستون عند افتتاح القناة في نوفمبر ١٨٦٩م بقوله: "إن أكثر رجال الإمبراطورية البريطانية استنارة كانوا متأكدين من أن مصر ليست قادرة على حماية استقلالها - بصفتها دولة محايدة وضعيفة - ولذلك لا يجب تركها تسقط تحت سيطرة أية دولة تستطيع تحدي إنجلترا وتغلق قناة السويس، ليكون ذلك مبررًا لاحتلال بريطاني لمصر والقناة دام لقرابة ثلاثة أرباع القرن، وليبدأ من هنا ثاني

النزاعات، والذي تمخض عن قواعد المحتل البريطاني التي زرعها في منطقة القناة بموجب معاهدة ١٩٣٦م، التي رخصت لقوات الاحتلال البقاء في منطقة القناة بحجة الدفاع عنها، وذلك بغية حماية شريان المواصلات إلى مستعمرات التاج البريطاني في الشرق وعلى الأخص الهند، حتى إن البعض من الساسة البريطانيين عدّ القناة: "عنق الهند". (١٠)

السعي البريطاني للسيطرة على قناة السويس يأتي أيضاً تعويضاً عن رأس الرجاء الصالح الذي كان يعد المعبر المائي الوحيد الذي يربط بين الشرق والغرب حيث ركزت بريطانيا على السيطرة على معظم المناطق المهمة أيضاً في إفريقيا. والتي تعزز مكانتها في السيطرة كقطب متفوق في عالم تتعدد فيه الأقطاب. فكانت في إفريقيا لها اليد الطولى والسيطرة الأكبر رغم منافسة العديد من الدول الاستعمارية .

في عام ١٨٩٩ أكملت بريطانيا سيطرتها على ما يسمى اليوم بجنوب أفريقيا . بدأ هذا بضم كيب تاون في عام ١٧٩٥ و أكمل بغزو جمهورية بوير في أواخر القرن التاسع عشر ، بعد حرب البوير الثانية . كان سيسل رودس رائداً في التوسعات البريطانية شمالاً باتجاه أفريقيا مع ما يملكه من شركة جنوب أفريقيا البريطانية . توسع رودس إلى أرض شمال جنوب أفريقيا و أسس روديسيا . كان حلم رودس بإنشاء سكة حديدية تصل مدينة كيب بالإسكندرية مروراً بأفريقيا البريطانية وتغطي القارة هو الذي أدى إلى ضغط شركته على الحكومة للمزيد من التوسعات باتجاه أفريقيا.

(١٠). د. نبيل حنفي محمود، مشروع القرن قناة السويس أيقونة النضال و التقدم، المركز العربي للبحوث و الدراسات الإثنيتين ١٧/نوفمبر/٢٠١٤ م

على النقيض ظهرت بريطانيا ، المدافع القوي عن التجارة الحرة، في عام ١٩١٤ ليس فقط كأكبر إمبراطورية لما وراء البحار وذلك بفضل تواجدها القديم في الهند، لكن أيضا الراجح الضخم في "الاستماتة من أجل أفريقيا" ، مما يعكس مكانتها المتميزة في بدايتها . بين عامي ١٨٨٥ و ١٩١٤ حصلت بريطانيا على ٣٠% تقريبا من سكان أفريقيا تحت سيطرتها ، بالمقارنة مع ١٥% لفرنسا و ٩% لألمانيا و ٧% لبلجيكا و ١% لإيطاليا : ساهمت نيجيريا بمفردها بـ ١٥ مليون من الرعية ، أكثر ممن هم في كل غرب أفريقيا الفرنسية أو في كل إمبراطورية المستعمرة الألمانية.(١١)

في الغرب عموما أيضا كانت بريطانيا تفرض نفسها كقوة عظيمة و إمبراطورية مسيطرة رغم وجود قوى عديدة و دول استعمارية تمتلك القدرات العسكرية و الاقتصادية . وهذا ما أشار له ونستون تشرشل حيث قال طوال الأربعمئة عام، كانت السياسة الخارجية لانكلترا تقاوم أقوى قوة و أكثرها هيمنة وعدائية على القارة الأوروبية

اتخذت انكلترا البرنامج الأكثر صعوبة فيمواجهة فيليب الثاني ملك اسبانيا ضد لويس الرابع عشر بقيادة وليام الثالث ومارليورو وضد نابليون وضد وليم الثاني إمبراطور ألمانيا كان من السهل الانضمام إلى الأقوى ومشاركته ثمار النصر لكننا على أي حال كنا دائما نتخذ الطريق الأصعب فقد تحالفنا مع القوى الأقل قوة و شكلنا منها ائتلافاً و هزمنا وأحبطنا الطاغية العسكري الأوروبي كائناً من كان.(١٢) وبهذه الاستراتيجية استطاعت بريطانيا أن تفرض سيطرتها على القارة الأوروبية و التأثير في مجريات الأحداث في بريطانيا .وهذا أيضاً يقاس على القارة الأمريكية التي فاق عدد مستعمرات بريطانيا فيها عدد مستعمرات الدول الاستعمارية الأخرى.

(١١) . د. أسامة فؤاد شعلان. الاستعمار البريطاني العظيم عصر من سرقة الشعوب والامم والتطفل على ثروات الدول . ٢٠١٠/٤/١٢

(١٢) . هنري كيسنجر، هل تحتاج أمريكا إلى سياسية خارجية ؟ نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين. ترجمة هند بهلول ص ١١٩. الطبعة الأولى ٢٠٠٦ . الناشر دار الرأي . دمشق

فقد كان عدد المستعمرين الفرنسيين لا يتجاوز الثمانين ألفاً بالمقابل زاد عدد المستعمرين البريطانيين على المليونين في أمريكا الشمالية (١٣)

انتشار المستعمرات البريطانية و اتساع رقعة السيطرة في أماكن مترامية في العالم اعتمد بالدرجة الأولى على قوة الأسطول البحري الملكي البريطاني و الذي كان أكبر و أقوى قوة بحرية في العالم و الذي يعد من أهم الأسباب التي جعلت من بريطانيا الأكثر تفوقاً على القوى المناوئة لها في العالم .

كان السلاح البحري الملكي القوة التي تستخدمها بريطانيا لسحق العدوان واستعمار الدول و مازال الأداة التي تستخدمها للتصدي لأعدائها ومواجهة الرعب العالمي . تصدر الأسطول البحري الملكي أسلحة البلاد التي تقضي على كل من يريد إحقاق الأذى ببريطانيا، حيث كان الرادع الأول للغزو الإسباني و الفرنسي و الألماني و القوة الرئيسية في الحرب الباردة ومازال حتى القرن الحالي، كما حقق سمعة عظيمة واحتل منزلة رفيعة في تاريخ الإمبراطورية، خاصة بعد أن هزمت سفينة فيكتوري نابليون في البحر وكانت هذه الهزيمة هي بداية القرن البريطاني. (١٤)

ورغم محاولة العدد من الدول المنافسة أن تتغلب على البحرية البريطانية إلا أن البحرية البريطانية كانت الأكثر تطوراً وخبرة مما عزز النفوذ البريطاني و الهيمنة على الدول الكبرى الصناعية المنافسة لها .

كانت الإمبراطورية الألمانية تعيش فترة انتعاش صناعية واقتصادية في ذلك الحين حتى إنها تفوقت على بريطانيا، مما أتاح لها فرصة محاولة تجاوز التطور .

(١٣) . الأستعمار . الموسوعة العربية . <https://www.arab-ency.com/ar>

(١٤) . فلم وثائقي الأسطول البحري البريطاني . مؤسسة ميثاق للأنتاج
<https://www.youtube.com/watch?v=3w8E2FOhHdM>

الذي وصلته بريطانيا في صناعة السفن الحربية. على الرغم من ذلك، استطاعت بريطانيا الخروج منتصرةً من سباق التسلح، حيث تمكنت من الحفاظ على التفوق العددي الكبير على ألمانيا. لكن البحرية الملكية واجهت وللمرة الأولى منذ عام ١٨٠٥ عدواً لديه القدرة على تحديها في المعارك. (١٥) ومن أهم المعارك التي خاضها الأسطول الملكي البريطاني معركة الطرف الأغر و التي شكّلت علامة فارقة ونقطة حاسمة في تاريخ الحروب البحرية البريطانية حيث تمكنت ٢٧ سفينة مقاتلة بريطانية من هزيمة ٣٣ سفينة قتال فرنسية و إسبانية .

كانت معركة الطرف الأغر الأكبر حسماً في كافة حروب الأسطول البريطاني حيث تمكنت ٢٧ سفينة مقاتلة بريطانية تحت قيادة الأدميرال اللورد نيلسون من على متن سفينته «فيكتوري» من هزيمة ٣٣ سفينة قتال فرنسية وإسبانية تحت قيادة الأدميرال الفرنسي «بيير تشارلي فينوف». فقد الأسطول الفرنسي -الأسباني ٢٢ سفينة دون أن يخسر الأسطول البريطاني سفينة واحدة، وقد أثبت النصر البريطاني المظفر، بصورة واضحة، السيادة البريطانية على البحار. (١٦)

لم يقتصر دور بريطانيا على التوسع و الهيمنة الاقتصادية و العسكرية وحتى الاستخباراتية بل أيضاً كان لها الدور الكبير في انهيار إمبراطوريات كبرى كالدولة العثمانية على سبيل المثال لا الحصر. و الدور المعروف الذي لعبته بريطانيا في إشعال نار الثورة العربية الكبرى و دعمها للقبائل العربية في شبه الجزيرة و بلاد الشام و الكثير من المناطق العربية بالإضافة إلى دورها في منع الاستتار الفرنسي في السيطرة على الدول العربية حتى بعد التقسيم الذي كان من إنجازاتها السياسية و الاستراتيجية خاصة في سورية حيث ساهمت في طرد الفرنسيين من سورية و إضعاف النفوذ الفرنسي

(١٥). البحرية الملكية البريطانية . تطور البحرية الإنكليزية . <http://w.mdar.co/detail1030270.html>

(١٦) لواء ركن (م) سعود أحمد حسون . موقع مجلة درع الوطن . ٢٠١٢/٧/١

في المناطق الحيوية في العالم ككل. وما يميز الاستعمار البريطاني عن باقي الدول الاستعمارية الأخرى هو سياسته الاستعمارية التي اتبعها و القدرة على التأثير في المناطق و الدول المستعمرة لفترة طويلة استمرت في بعض المناطق إلى يومنا هذا .. ورغم أن بريطانيا قد نزلت عن قمة النظام الدولي بعد الحرب العالمية الثانية إلا أنها حافظت على جزء كبير من مستعمراتها إلى وقت ليس بالبعيد فمثلاً الكويت نالت استقلالها عام ١٩٦١ .. و الهند ١٩٤٧ .. هونغ كونغ ١٩٩٧.

وفي حين تخلت بريطانيا عن سيطرتها السياسية المباشرة على مناطق عدة إلا أنها احتفظت بقدر كبير من النفوذ حيث استمرت الصلات الوثيقة في المجالات الاقتصادية و السياسية و العسكرية بين بريطانيا ودول الخليج العربي و بعض المستعمرات الأخرى قائمة حتى يومنا هذا.

الفصل الثاني

التفوق الأميركي في مرحلة الثنائية القطبية

في قراءة سريعة للتاريخ نجد أن من أولى أولويات الدول التي تربعت على هرم النظام الدولي هو الهيمنة المطلقة و السيطرة على العالم بشكل منفرد لا يسمح لأي قوة عظمى أخرى المشاركة في قيادة هذا النظام و تهديد الأمن القومي للقائد الأوحده، وهذا ترجم بشكل واضح في منتصف القرن الماضي أثناء الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية. "مرحلة الثنائية القطبية التي كانت تخفي تحت مساراتها الخطط الاستراتيجية لبط الهيمنة الأمريكية كقطب أوحده و تدمير كل ما من شأنه الوقوف بوجهه الحالة الأمريكية" (١٧)

يواجه النظام الدولي اليوم تحديات من بينها وجود مسافة لا تزال طويلة بين القطب الأمريكي والقوى الدولية الأخرى التي تسعى إلى الاقتراب من مستواه و ردم الفجوة التي تفصل كلا منها عنه سواء في مجال القوة العسكرية التي لا تزال أطول وأضخم الفجوات القائمة بين الطرف الأمريكي والقوى الكبرى الأخرى ، أو في مجال القوة الاقتصادية ومن خلالها تحقق القوى الدولية الأخرى أكبر نجاحات في الاقتراب من مستوى القوة الأمريكية، أو في القوة العلمية- التكنولوجية. (١٨)

(١٧). نصار الربيعي، دور الهيمنة الأمريكية في العلاقات الدولية. موقع وزارة الشؤون الاجتماعية العراقية
(١٨). د. مصطفى علوي، موقع المركز العربي للبحوث و الدراسات ، ٢٠١٥/١/١٠

إذا ثمة من يعتقد أن هناك مراحل في التاريخ يقود النظام الدولي فيها قطب أو أكثر لكن العالم لا يمكن أن يحكمه أكثر من قطب واحد حتى لو بدا الأمر غير ذلك بنسب متفاوتة.

كانت الحرب العالمية الأولى قد أسفرت بعد نهايتها عام ١٩١٨ عن تراجع الدور الأوربي بشكل عام والبريطاني على وجه الخصوص على رقعة الشطرنج الدولية بعدما كانت بريطانيا القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين القطب الأوحده الذي تسيد تلك الحقبة التي تعتبر استمراراً لحقبة التوازن الكلاسيكي - من خلال الكثير من الأوراق السياسية والاقتصادية الراححة كالتفوق الصناعي والتماسك السياسي وقوة الأسطول البحري ،على الرغم من وجود قوى عالمية متربصة كألمانيا وفرنسا على سبيل المثال لا الحصر واستمرار القوة الروسية وتصاعد وتيرة تمددها البري.

وباختصار نستطيع أن نطلق على تلك الفترة بفترة القطب البريطاني الواحد، بحيث يوصف القرن التاسع عشر بالقرن البريطاني. ورغم تراجع الدور البريطاني القطبي تدريجياً في نهايات ذلك القرن إلا أن نفوذ الامبراطورية السياسي كان مستمراً مع استمرار قدرتها على إدارة العديد من القرارات السياسية الدولية والتحكم بها حتى منتصف القرن العشرين تقريباً ما دفع الرئيس الأمريكي ويلسون في تحليله الحرب العالمية الأولى في صيف ١٩١٦ للقول: إن ألمانيا تريد العالم لكن بريطانيا تمتلكه . بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ظهرت قوى جديدة مكان القوى التقليدية التي كانت سائدة هي الاتحاد السوفيتي كقطب في بنية النظام الدولي الجديد يقود مجموعة دول شرق أوروبا التي احتلها أثناء الحرب العالمية الثانية و الولايات المتحدة الأمريكية كقطب مقابل في هذا النظام الدولي يقود دول أوروبا الغربية بالإضافة إلى اليابان كمناطق نفوذ مباشرة لها.

يمثلك الاتحاد السوفيتي و الولايات المتحدة الأمريكية عوامل قوة مختلفة جعلتهما قطبين يقودان النظام الدولي ، وتتحدد عوامل القوة عادة بمعطيات عسكرية، اقتصادية، جغرافية وثقافية فكرية.

في المجال الثقافي الفكري:

ربما يمثل هذا الوجه أكثر الوجوه توازناً وتكافؤاً بين هذين القطبين حيث طرح الاتحاد السوفيتي نفسه كحامل لنظريات سياسية و اقتصادية و اجتماعية منبثقة من نظام شمولي، فيما طرحت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها كحامل لأفكار سياسية و اقتصادية و اجتماعية منبثقة مما سمي العالم الحر .

تجلى الفارق بين القطبين في هذا المجال في أن الاتحاد السوفيتي كان يمول مشروعه ويتحمل نفقات وتكاليف هذا المشروع من صناعة الورق إلى الأفكار التي حملها هذا الورق سواء كانت صحيفة أو مجلة أو كتاباً أو أثيراً داخل الاتحاد السوفيتي وخارجه دون أن يحقق أي عوائد بل وكانت تكاليف تسويق أفكاره عالية جداً على الاقتصاد السوفيتي. فيما الولايات المتحدة الأمريكية كانت تسوق أفكارها بعوائد اقتصادية ضخمة بل إن دور النشر أو المؤسسات الصحفية و الإعلامية و الإعلان العائدة لها كانت تحقق أرباحاً كبيرة جداً وتجلى هذا الصراع في سيطرة الإعلام الغربي على مختلف الأخبار أو تسويقها حيث هيمنت خمس وكالات أنباء على العالم، اثنتان منها للولايات المتحدة في المرتبة الأولى و الثانية وثالثة لبريطانيا ورابعة لفرنسا و في المرتبة الأخيرة وكالة تاس التابعة للاتحاد السوفيتي ، هذا الترتيب يعتمد على عدد الكلمات التي كانت تبثها كل وكالة على مستوى العالم وعدد الاشتراكات لدول العالم في هذه الوكالات وانتشار الخبر حسب كل وكالة.

فمثلاً تقوم وكالة أسوشيتيد برس الأمريكية بتقديم خدماتها لأكثر من ١٥ ألف جريدة وإلى محطات الإذاعة و التلفزيون في أكثر من ١١٥ بلداً ولديها أكثر من ١١٠٠ مكتب داخل الولايات المتحدة و ٧٠ مكتباً خارجها وعدد موظفيها يزيد على ٥ آلاف موظف، بينما لدى

وكالة تاس ٧٠ مركزاً و مكتباً في المناطق الروسية و ٦٨ مكتباً تمثيلاً في ٦٣ بلداً ويعمل فيها ١٥٠٠ موظف. (١٩)

باختصار ينطبق هذا الحال في الصراع بين القطبين على صناعة العطور و أنواعها إلى الأزياء و اللباس(الجينز) إلى ثقافة الطعام و نمط الغذاء(ماكدونالدز+كوكا كولا) و الترفيه(ديزني لاند) وحتى ديكورات المنازل(نموذج البيت الأمريكي صار نموذجاً عالمياً).

"أدى انفتاح الثقافة الأمريكية مشفوعة بمبادئها إلى جعل الولايات المتحدة أنموذجاً وملاذاً للملايين". (٢٠)

لم تترك الولايات المتحدة مجالاً إلا وتدخلت فيه من توزيع جوائز نوبل وصولاً إلى تعيين بابا الفاتيكان.

منحت جائزة نوبل للسلام ل ليخ فاليسا لأنه كان يقود نقابات عمال بولونيا ضد نظام الحكم الاشتراكي في بولونيا.

منحت ل (أندريه سخاروف) عالم نووي سوفياتي كونه معارضاً لموسكو

منحت ل الرئيس المصري انور السادات (مناصفة مع مناحيم بيغين عام ١٩٧٨) بعد توقيعه اتفاقية كامب ديفيد) أي خضوعه للإرادة الأمريكية)

"وذهب بعضهم إلى أن آخر زعماء الاتحاد السوفيتي غورباتشوف قد منح هذه الجائزة عام ١٩٩٠ كمكافأة له على مشاركته الرئيس الأمريكي ريغان في إنهاء الحرب الباردة بين القطبين و بالتالي زوال القطب المناهض لأمريكا على الصعيد العالمي". (٢١)

(١٩) . هافينغتون بوست عربي ، خمس وكالات أنباء تهيمن على حركة الأخبار في العالم ٢٧/٤/٢٠١٦

(٢٠). هينري كيسنجر ، النظام العالمي تأملات حول طلائع الأمم ومسار التاريخ، الناشر دار الكتاب العربي بيروت، ٢٠١٥م

ص (٢٣٢)

(٢١). غورباتشوف .. ٧ أمور لا تعرفها عن اخر زعيم للاتحاد السوفيتي sputnik news ، ٢/٣/٢٠١٦

إن جائزة نوبل هي إحدى أدوات استراتيجية زيغنيو بريجنسكي سيئة الصيت التي تسمى "الضرب في أسفل الجدار" وهي أداة استراتيجية ما تزال الإدارة الأمريكية تستخدمها كأحد أخطر أدوات سياستها الخارجية باللجنة التي تمنح الجائزة، معاييرها غريبة بحتة وليست إنسانية وهي تخدم بالمحصلة الأهداف الأمريكية. (٢٢)

الاستخدام الأمريكي لهذه الجائزة خدمة لغاياتها دفع عديداً من القامات في الفن و الأدب و الفكر إلى رفضها.

(الكاتب الساخر برنارد شو مبرراً رفضه بمقولته الشهيرة عنها: إنني أغفر لنوبل أنه اخترع الديناميت لكنني لا أغفر له أنه اخترع جائزة نوبل)

(جان بول سارتر الفيلسوف الوجودي وحسب دارسين لفلسفته فإنه كان يعتبرها قبلة الموت وكان يخشى أن يتم تكريمه من قبل الجائزة فلا يستطيع أن يتم مشروعه بسبب فوزه بالجائزة. (٢٣) وكننتيجة لهذا الصراع فإن القطب الأمريكي استطاع أن يسوق مختلف أفكاره لتصبح مطلباً لدى المواطن في مختلف أنحاء العالم واستطاع هذا الفكر أن يحول القطب الآخر إلى شيطان من خلال تركيزه على مفاهيم : الدين(الإلحاد) _ الاقتصاد(عدم إمكانية الفرد على تطوير نفسه _ العائلة (القيم العائلية غير موجودة).

في المجال السياسي و العسكري : تجلى الصراع بين القطبين و الفوارق الكبيرة أكثر ما تجلى

في هذا القطاع. و استطاع القطب الأمريكي أن يجر القطب الآخر إلى معارك بعضها وهمي ولكن تكاليفه المادية كبيرة (حرب النجوم) وبعضها الآخر حقيقي (سباق التسلح النووي) نضيف إلى ذلك سباق التسلح التقليدي بمختلف صنوف و أنواع الأسلحة التقليدية مثل الدبابات _ الطائرات المقاتلة و الأسلحة الفردية الخفيفة الخ. هذا السباق على مختلف وجوهه أظهر استنزافاً لقدرات الاتحاد السوفيتي الذي كان يعتمد على موارده وحدها فيما الولايات المتحدة الأمريكية كانت تعتمد على مواردها الكبيرة جداً إضافةً إلى موارد الحلفاء التي كانت تستنزفها وكذلك موارد الدول التي كانت تهيمن عليها (اقتصادياً).

(٢٢) د. أبا الحكم ، جائزة نوبل للسلام أم اداة للحرب ، شبكة البصرة ، ٢٠١٠/١٠/١١

(٢٣). عبد الرحمن ناصر ، رافضو جائزة نوبل ساس بوست

بعد الكثير من المشاورات و الدراسات خرجت أمريكا بنظرية إفقار الاتحاد السوفيتي من خلال سباق التسلح. طرح الرئيس ريغان مشروع حرب النجوم وتم الإعداد التكنولوجي و المادي لتنفيذ هذا المشروع وتم إشراك أوروبا المزدهرة صناعياً بذلك. الرد من جانب الاتحاد السوفيتي جاء متردداً... صحيح أن الاتحاد السوفيتي متطور بالفضاء أضعاف ما هي عليه أمريكا ولكن حرب النجوم سيستهلك فائض الميزانية بالكامل وسيتوقف التطور الصناعي وخاصة أن الاتحاد السوفيتي كان يصدر إلى الدول الفقيرة و يبيع بأسعار رخيصة و بتسهيلات كبيرة. (٢٤) حتى عام ١٩٦٢ إن ما تملكه الولايات المتحدة من القنابل و الرؤوس الحربية أكثر بثماني مرات مما يملكه الاتحاد السوفيتي

(٢٧٢٩٧ مقابل ٣٣٣٢)

قد لا تتناسب مقدرة السوفيت بالتعامل مع قاذفات القنابل الأمريكية لكنهم استعاضوا عنها بالصواريخ و بعد إطلاق القمر الصناعي سبوتنيك انتقل الأمريكان من القاذفات المأهولة إلى صناعة الصواريخ ، (الصاروخ السوفيتي الثقيل سميوركا كان مداه المجدي يصل إلى ٥٨٠٠ ميل بالمقابل كان الصاروخ الأمريكي أطلس يصل لمسافة ١٥٠٠ ميل مع فارق بالوزن و قدرة التدمير. (٢٥)

وقد تجلى هذا السباق بين القطبين في صراعات مختلفة في عدد من مناطق العالم لدى الدول الحليفة لكل من القطبين و الدول التي كانت في مجال نفوذهما. ومثال على ذلك:

- أزمة برلين الأولى و الثانية
- الحرب الكورية
- الازمة الكوبية
- حرب فييتنام ١٩٦٥-١٩٧٥
- ربيع براغ ١٩٦٨
- العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦
- نقابات بولونيا
- ثورة الزنابق في البرتغال
- تشيلي

(٢٤). أرشيف المعلومات النووية ، المجلس الوطني للدفاع عن الموارد

(٢٥). النيزك في الكروت و كتاب الفضائيين و قدرات مضادات روسيا ، حقيقة مشروع حرب النجوم و عسكرة الفضاء

أزمة برلين الأولى و الثانية: كانت هذه الأزمة واحدة من مواجهات الحرب الباردة و يعود سببها إلى انفراد الولايات المتحدة مع الدول الحليفة لها(بريطانيا وفرنسا) بعقد اجتماع في لندن ١٩٤٨ دون علم الاتحاد السوفيتي نص على إقامة حكومة ألمانية-رأسمالية.رد الاتحاد السوفيتي على هذا الإجراء بفرض حصار على برلين الغربية فما كان من الولايات المتحدة إلا أن أقامت جسراً جويّاً للاتصال بمناطق نفوذها تعداده ألف طائرة لتموين سكان برلين المحاصرة بالمواد الاستهلاكية بمعدل ٨ آلاف طن يومياً ما اضطر الاتحاد السوفيتي إلى رفع الحصار فيما بعد والذي اعتُبر انتصاراً حققته الولايات المتحدة ضد السوفييت في إطار الحرب الباردة.

كان ستالين يشعر بأن لديه ما يكفي من القوة لخوض حرب محلية ولكنه لم يكن مستعداً للمخاطرة بحرب عامة مع الولايات المتحدة. (٢٦) وهذا ما عبر عنه وزير خارجية الاتحاد السوفيتي غروميكو أمام هينري كسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة في لقاء بينهما عام ١٩٨٩.

انتهت الأزمة إلى تقسيم ألمانيا إلى غربية رأسمالية و شرقية اشتراكية. عادت و تجددت هذه الأزمة ثانية عام ١٩٥٨ بسبب هجرة و فرار الألمان الشرقيين نحو برلين الغربية فتم بناء جدار يفصل بين شطري برلين.

الأزمة الكوبية: بدأتها الولايات المتحدة عبر تهديدها بإسقاط النظام في كوبا مما استدعى الاتحاد السوفيتي إلى التصعيد العسكري وهدد بحرب شاملة و نصب صواريخه في خليج كوبا(الخنزير)وكان هذا أكبر تهديد عسكري للولايات المتحدة في تاريخها كله، لم يكن هناك صواريخ بهذا القرب من أراضي الولايات المتحدة الأمريكية كما هو الحال مع هذه الصواريخ). لكن الأزمة الكوبية انتهت إلى بقاء نظام فيدل كاسترو وهذا ما عُد انتصاراً معنوياً للاتحاد السوفيتي وإلى سحب الصواريخ من كوبا وهذا ما عُد انتصاراً عسكرياً للولايات المتحدة فيما دخلت كوبا في حصار اقتصادي استمر أكثر من نصف قرن فرضته الولايات المتحدة الأمريكية.

(٢٦). هينري كيسنجر ، النظام العالمي تأملات حول طلائع الأمم و مسار التاريخ، ص (٢٧٥) مرجع سابق

"وقد أخرجت التسوية التي جرت بين كيندي و خروتشوف وأنهت تلك الأزمة الاتحاد السوفيتي وزعيمه بشكل حاد وذلك أن سحب الولايات المتحدة لصواريخها من تركيا لم يكن له صدئ قوي في ذلك الوقت ولا تأثير إعلامي قوي- بل كانت اتفاقية سرية ما بين كندي و خروتشوف فبدأ الزعيم السوفيتي الطرف الخاسر في تلك الأزمة و أدرك كيندي أنه ربح الرهان ما بين القوتين الجبارتين وظهر خروتشوف كأنه ذليل (٢٧)

تتحى خروتشوف عن الحكم بعدها بسنتين بسبب (وإن كان جزئياً) الإحراج الذي تلقاه المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب من سوء تصرف خروتشوف بتسريع وتيرة الأزمة في البداية وفي النهاية تقديمه تنازلات للولايات المتحدة.

أما في تشيلي: فقد نجح سلفادور ألييندي عام ١٩٧٠ في استلام السلطة في تشيلي ويعتبر عموماً أول رئيس دولة في أمريكا اللاتينية ذا خلفية ماركسية انتخب بشكل ديمقراطي. فقد ألق هذا الفوز الولايات المتحدة وعدته كارثة بالنسبة لها حيث أرادت حماية مصالحها من خلال منع أي انتشار للاشتراكية في أراض تعتبرها ضمن مناطق نفوذها التقليدي في أمريكا اللاتينية. لم يستمر حكم ألييندي أكثر من ثلاث سنوات و انتهى بمقتله على يد ما سُمي لاحقاً دكتاتور تشيلي الجنرال أوغستو بينوشيه الذي كان قائداً للجيش التشيلي. وكانت أيادي الولايات المتحدة ودورها واضحاً في صياغة هذا الانقلاب وفي كل تفاصيله.

مثال (إضراب الشاحنات)

العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦: لم تكن الولايات المتحدة طرفاً في هذا الصراع وإن كان لديها _ نوعاً ما _ رضا عنه. إذ لم تكن متضررة من إغلاق قناة السويس لا اقتصادياً ولا عسكرياً على عكس بريطانيا و فرنسا اللتين شنتا الحرب على مصر مع إسرائيل وجاء موقف الاتحاد السوفيتي مناصراً لمصر في حربها وجاء موقف خروتشوف الشهير في الأمم المتحدة لوقف هذا العدوان على مصر و نجح في ذلك حيث أمرت أميركا بريطانيا وفرنسا بالانسحاب الفوري من الأراضي المصرية مما عزز فرضية أن الاتحاد السوفيتي قطب مواز للولايات المتحدة ولكنه في واقع الحال كان انتصاراً سياسياً على قوى كبرى سابقة وليس على الولايات المتحدة، وحقق العدوان أحد أهدافه بنشر قوات طوارئ دولية في سيناء.

في الاقتصاد: الاختلال الكبير و الواضح بين قطبي الصراع كان لا يُجاري في المجال الاقتصادي إذ تبدو الفوارق بينهما شاسعة .

يلاحظ أن الأرصدة المالية العالمية قد قدرت إبان الحرب العالمية الثانية بما يعادل ٣٨ مليار دولار كانت الولايات المتحدة وحدها تمتلك ٢٥ مليار دولار أي ما يقدر بثلاثي ذهب العالم. (٢٨)

ويكفي هنا أن نشير إلى أن الاتحاد السوفيتي كقطب كان مضطراً لأن يدور في الفلك الأمريكي الاقتصادي على المستوى العالمي ولهذا تجليات مختلفة إن كان في طبيعة التجارة أو التبادل التجاري أو البنوك أو الاستثمارات في الخارج وصولاً إلى اضطراره لاستخدام العملة الأمريكية كمعادل موضوعي للسلع السوفيتية وكان مضطراً أن يدخل في الفهم الأمريكي للاقتصاد رغم أنه نقيض اقتصادي له بالكامل.

استطاعت الولايات المتحدة أن تربط العالم بها على مختلف المناحي الاقتصادية أوضحها البنوك _ مؤسسات التأمين _ الدولار و أن تصبح عبر مؤسساتها مرجع العالم وحتى للقطب المنافس لها .

قوة الولايات المتحدة الاقتصادية كقطب تجلت في ما يلي:

١ . الدولار

٢ . البنوك

٣ . مؤسسات دولية هيمنت عليها مثل صندوق النقد الدولي و البنك الدولي

٤ . القوى الاقتصادية التقليدية .

من يسيطر على المال يسيطر على العالم هكذا كشف هينري كسنجر عن واحدة من أهم مرتكزات لعبة السيطرة الأمريكية على الاقتصاد العالمي ومن ثم على المشهد السياسي الدولي من خلال سطوة المال . (٢٩)

فالعملة الأمريكية ليست مجرد عملة وطنية و إنما تشكل أحد أهم آليات تنفيذ الاستراتيجيات الأمريكية بكل أطرافها السياسية والاقتصادية وحتى العسكرية .

(٢٨). زهير سراي ، اسرار احتفاظ الدولار بالصدارة أمام العملات الأجنبية الاقوى منه

(٢٩). محد فاوي ، جبروت الدولار ، مؤامرة على فقراء العالم ، ٢٠١٦/٥/٨

لقد تمكنت الولايات المتحدة الأمريكية من خلال فرضها على العالم أن يكون تداول وتسعير السلع الاستراتيجية مثل النفط و الذهب بالدولار وحده من التلاعب في أسعار النفط و الغاز عبر خفض قيمة الدولار أو رفعه وهذا ما فعلته في أواخر حقبة الثمانينيات عندما جرى استغلال الدولار لضرب الأسعار العالمية في مقتل، فانهارت الأسعار إلى نحو ١٠ دولارات للبرميل وكان هذا التهوي بمثابة المقدمة الكبرى لسقوط الاتحاد السوفيتي الذي كان يعتمد اقتصاده المحلي بشدة على الإيرادات النفطية .(٣٠) إذاً فرضت الولايات المتحدة على العالم أن يرتبط باقتصادها وتجلى هذا أكثر ما تجلى بربط الاقتصاد العالمي بالدولار ليكون معادلاً اقتصادياً ليس للمنتج أياً كان نوعه فقط بل وللعملة الوطنية أيضاً والروبل الذي كان العملة الوطنية للقطب المواجه للولايات المتحدة كان يخضع للشرط ذاته حيث كانت قيمة الروبل مرتفعة داخل الاتحاد السوفيتي عن السوق العالمية ما أزهق الاتحاد السوفيتي اقتصادياً .

في التبادل التجاري كان التعامل بالدولار مفروضاً على القطب الأخر كما هو مفروض على العالم أجمع وكان الاتحاد السوفيتي يخضع لشرط التعامل مع البنوك الأمريكية كلما استخدم الدولار . لم يرتق الروبل كعملة للقطب الأخر في التعاملات التجارية في أي مكان وحتى في ثقة المواطن إلى مستوى الدولار مع الأعداء وحتى مع الأصدقاء والحلفاء وفيما يتعلق بالإنتاج الصناعي فقد كان إنتاج الاتحاد السوفيتي من الحديد والبتروول و المنتجات الصناعية يفوق ما تنتجه جميع الدول ما عدا الولايات المتحدة .

(٣٠).مرجع سابق .

نظرة سريعة إلى سنوات الحرب الباردة و التي عرفت بمرحلة ثنائية القطب نجد أن القطب الأميركي حقق العديد من الإنجازات الفائقة كمشروع مارشال وإقامة الناتو و تأسيس نظام بريتون وودز الاقتصادي الذي فرض الهيمنة الكاملة على شؤون العالم .ورغم أن سجل القوة الامريكية ممتزج بالنجاح و الإخفاق إلا أن الأميركيين تغلبوا على الكثير من الأزمات الحادة التي عاشوها و أثبتت أمريكا أنها تمتلك من المقومات ما يضمن تفوقها رغم حركة التاريخ .

الكثير من الدارسين و الباحثين تحدثوا عن الصعوبات التي واجهت كلا القطبين و الترهل الاستراتيجي الذي يقود القوى العظمى إلى السقوط غير أن الانهيار لحق بالاتحاد السوفيتي ما يدل على أن القطبين قادا العالم في تلك المرحلة بما يملكانه من قدرات إلا أنها قدرات غير متكافئة كما ينبغي أن يكون لقوتين متوازيتين في القدرة و التأثير وهذا يؤكد أن قوة واحدة هي الفاعلة والقطب المتحكم في العالم .

الخاتمة

بعد مراجعة الأحداث التاريخية ومراقبة السلوك الدولي ومجريات و تطورات المراحل التاريخية بمختلف نواحيها ،يتبين أنه لا يمكن لحد ما أن يكون هناك عالم متعدد الأقطاب أو ثنائي القطبية رغم تنافس الكثير من الوحدات الفاعلة في النظام الدولي و اقتراب قدراتها من بعضها البعض إلا أنه دائماً هناك تفوق وقدرة لقطب واحد وهذا القطب يمتلك القدرة في التأثير والتحكم عن طريق الهيمنة بمختلف أنواعها . فرغم أن البعض يتحدث عن مرحلة التعددية القطبية و تنافس الدول الاستعمارية على تقاسم النفوذ والهيمنة على العالم إلا أنه كانت هناك قوة متحكمة أو أكثر تأثيراً من القوى الاستعمارية الأخرى، وهذا أيضاً ينطبق على المرحلة التي يرى فيها البعض مرحلة الثنائية القطبية حيث يرى فيها الكثير من الباحثين و الدارسين أنها مرحلة ثنائية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية إلا أنه من خلال بحثنا هذا اتضح أنه كان هناك تفوق لطرف على حساب آخر وقدرة للولايات المتحدة بالتأثير والهيمنة الفكرية والعسكرية و الاقتصادية وغيرها مما جعلها الأكثر تفوقاً على المنافس الآخر مما يؤكد أنه لا يمكن أن يكون هناك قوى متساوية ومؤثرة بنفس القدر في رسم السياسات الدولية.

هذا يبين لنا أنه على مر العصور دائماً هناك قوة واحدة فقط هي التي تلعب دور المايسترو للنظام الدولي رغم وجود قوى عظمى في العالم .

قائمة المراجع:

الكتب

- ١.. كيسنجر هينري، النظام العالمي تأملات حول طلائع الأمم ومسار التاريخ، الناشر دار الكتاب العربي بيروت، ٢٠١٥م ص (٢٣٢)
 - ٢.. كيسنجر هنري، هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية؟ نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين. ترجمة هند بهلول الناشر دار الرأي دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٦ .. ص ١١٩.
- ### المقالات و الدراسات : الكترونية
- ١ .. د. أبا الحكم ، جائزة نوبل للسلام أم أداة للحرب ، شبكة البصرة ٢٠١٠/١٠/١١
 - ٢ .. أولادي لوي ، البريطانيون في الخليج نظرة عامة ، <http://www.qdl.qa>
 - ٣ .. حسون سعود أحمد ، البحرية الملكية البريطانية تطور البحرية الانكليزية ، موقع مجلة درع الوطن ٢٠١٢/٧/١ .
 - ٤ .. أ. خضر أمجد ، الدول التي استعمرتها بريطانيا ، موقع موضوع ٢٠١٦/٦/١٢
 - ٥ .. الربيعي نصار ، دور الهيمنة الأمريكية في العلاقات الدولية . موقع وزارة الشؤون الاجتماعية العراقية .
 - ٦ .. سراي زهير . أسرار احتفاظ الدولار بالصدارة أمام العملات الأجنبية الأقوى منه ، موقع تلفزيون المغاربية ، ٢٠١٥/٤/٣٠ .
 - ٧ .. سعد الدين أسماء ، تاريخ الإمبراطورية البريطانية ، موقع المرسال ٢٠١٦/١/٤
 - ٨ .. د.شعلان أسامة فؤاد ، الاستعمار البريطاني العظيم ، عصر من سرقة الشعوب و الأمم والتطفل على ثروات الدول ٢٠٠٤/٤/١٢ .
 - ٩ .. د. علوي مصطفى ، القطب المنفرد الولايات المتحدة الأميركية و التغيير في هيكل النظام العالمي ، المركز العربي للبحوث و الدراسات ٢٠١٥/١/١٠ .
 - ١٠ .. فاوي مجد ، جبروت الدولار مؤامرة على فقراء العالم ، موقع الأهرام المسائي ٢٠١٦/٥/٨ .
 - ١١ .. أ. الفطيسي محمد سعيد ، التاريخ الموجز للأنظمة القطبية (١٨٠٠ _ ٢٠٢٠) موقع الركن الأخضر .

١٢ .. د. محمود نبيل حنفي، مشروع القرن قناة السويس إيقونة النضال والتقدم، المركز العربي للبحوث و الدراسات ١١/١٧/٢٠١٤م

١٣ .. ناصر عبد الرحمن، رافضو جائزة نوبل، ساسا بوست، ٩/١٠/٢٠١٤م.

١٤ .. الاستعمار الموسوعة العربية <https://www.arab-ency.com/ar>.

١٥ .. الثورة الصناعية [Kacem BOUKRAA](http://encyc.kacemb.com) . encyc.kacemb.com

١٦ .. غورباتشوف ٧ أمور لا تعرفها عن آخر زعيم للاتحاد السوفيتي sputnik news ، ٢٠١٦/٣/٢٠م،

١٧ .. هافينغتون بوست عربي ، خمس وكالات أنباء تهيمن على حركة الأخبار في العالم . ٢٠١٦/٤/٢٧م.

١٨ .. أرشيف المعلومات النووية ، المجلس الوطني للدفاع عن الموارد.

١٩ .. النيزك في الكروت و كتاب الفضائيين وقدرات مضادات روسيا ، حقيقة مشروع حرب النجوم و عسكرة الفضاء.

٢٠ .. فلم وثائقي الأسطول البحري البريطاني . مؤسسة ميثاق للأنتاج،

<https://www.youtube.com/watch?v=3w8E2FOhHdM>